

دور الأوقاف في الحياة الاجتماعية في بلاد الأندلس

عبد القادر ربوح
قسم العلوم الإنسانية
جامعة زيان عاشور، الجلفة

لعبت الأوقاف دورا هاما في توفير الرعاية الاجتماعية للفقراء واليتامى والمرضى و التخفيف من معاناتهم، وكذلك في تسيير سبل العيش والحياة الكريمة لأفراد الأسرة وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي، الذي نادى به الإسلام، باعتباره من الصدقات الجارية ... ولذلك ارتبطت الأوقاف الإسلامية بالصدقات فأول وقف في الإسلام كان سبع حوائط أوصى بها مخيريق اليهودي للرسول يضعها حيث أراه الله فجعلها الرسول صدقة في سبيل الله، كما أن العلماء الفقهاء عرفوها بأنها الصدقات الموقوفات، ومن هنا يمكن القول إن لها دورا فعالا في المجتمع الأندلسي آنذاك، فاكتفت بما حددته الشريعة الإسلامية بهذا الخصوص من فرض زكاة على القادرين والحث على الصدقات، يبتغي من ورائها الواقف مرضاة الله وثوابه في الآخرة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الحكومات الإسلامية في العصور الوسطى كانت لا تستطيع أن تلبى كل حاجات المجتمع من رعاية اجتماعية وثقافية وصحية، مما يبرز أهمية الأحباس في المجتمع الإسلامي ودورها في مواجهة الفقر والبؤس والجهل والمرض.¹

فالأوقاف إذا هي من أعمال البر، فينعكس على المجتمع كله مثل بناء المدارس و المياتم، وإصلاح الجسور والطرقات، وبناء الفنادق والرباطات والمحابس ومنح البذر للفلاحين²، فكانت أوقاف الأسرة، واليتامى والمساكين وابن السبيل وغيرها .

1- أحباس الأسرة.

لقد كثرت الأحباس على الأسرة في الأندلس، فقد سئل رجل ابن رشد من مدينة

1 كمال السيد أبو مصطفى، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1993 ص: 203.

2 شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، دار الفكر، سوريا، 2002م. ط. 1، ص: 141.

دانية¹ وهي في رجل حبس على ابنته وعقبها شرط إن ماتت في سنة وعقبها في حياته، أو ماتت في حياته ولا عقب لها فالحبس راجع إليه فأجاب رجوع الحبس إلى المحبس إن توفيت ابنته.²

كذلك يذكر حبس رجل من أهل غرناطة ضيعة على ولده³، أما البرزلي (ت 883هـ/1478م) فيذكر أن رجلا قد حبس على ابنته دارا⁴، ويذكر الونشريسي أن ابن حسون قد سئل في رجل أوصى بثلاثي متروكه من قليل الأشياء وكثيرها لبنيه الذكور ولن يتزايد⁵ (يتزايد) هكذا وردت، وقد جرى العمل على إدخال أولاد البنات في لفظ العقب.⁶

كما سئل بعض فقهاء قرطبة عن رجل تصدق عن ولده بأرض وشجرة من مال محبس عليه فإن مات الابن رجعت هذه الصدقة إلى أقرب الناس بالابن مطلقا غير محبس، وأن الابن توفي مخلفا أبا وأخوين لأم، ولم يكن له عقب، فكيف يقسم ذلك بينهم؟ فأجاب: الأخ للابن أقرب للمتصدق عليه، وإليه ترجع الصدقة بالشرط الذي شرطه المتصدق.⁷

كما حبس الأمراء والخلفاء الأمويون في الأندلس على أفراد أسرهم، فقد حبس عبدالرحمان الأوسط (206هـ-238هـ/821م-852م) على ابنته من أم عبدالله فلانة وفلانة سنة 222هـ/836م جميع أملاكه لقربته، وأشهد ذلك يحيى بن يحيى الليثي (ت 234هـ/848م) ومحمد بن خالد (ت 222هـ/836م) وعقدا حبس ذلك⁸، كما حبس المنصور بن أبي عامر على ابنته وعلى عقب عقبها من بعدها.⁹

وهكذا كانت أحباس الأسرة في الأندلس فتعددت كحبس الضياع والحدائق والأراضي لصالح الأولاد مع إدخال البنات في لفظ العقب، كذا تحبب الأمراء والخلفاء.

1 دانية من أعمال بلنسة على ضفة البحر شرقا.

2 ابن رشد، الفتاوى، تقديم وتحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1984، ج.1، فتوى 5، ص: 164.

3 نفس المصدر، فتوى 82، ص: 345.

4 البرزلي، فتاوى البرزلي المعروفة بجامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقديم محمد الهيلة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2002، ج.7، ص: 351.

5 الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقيته والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981، ج.7، ص: 21.

6 نفسه، ص: 50.

7 نفسه، ص: 50.

8 البرزلي، المصدر السابق، ج.7، ص: 347.

9 La gardère Vincent, *Histoire et societe on occident musulmane au moyen-age (analyse du Mi'yar d'al-wincharisi, collection de la casa de Velazquiez, N°53, Madrid, 1995, P268*

9 الونشريسي، المصدر السابق، ج.7، ص: 412.413.

ويرى المازوني (ت883هـ/1478م) أن أولاد الصلب لا يصح التحبيس عليهم مرض الموت لكن يمضي من ذلك من حمل الثلث ميراثا وكما يمضي الحبس.¹

2. أحباس الفقراء واليتامى والمساكين.

والملاحظ أن ناظر الأحباس كان يتولى اختيار المساكين المستحقين ريع الوقف، وتحديد مقدار ما يستحقونه، وفقا للنظر اجتهاده وكما كان يقوم بتأجير بعض الأوقاف المحبسة على المساكين ويأخذ ثمن الكراء ويشترى به غالبا ثيابا توزع على المساكين لكسوتهم في الأعياد.²

كما أن الأحباس المجهولة الأصل يجوز صرف فوائدها في مختلف سبل الخير³، كما أن هناك من جعل لبن بقرته للمساكين⁴، كذلك حبست الطرقات على المسلمين⁵، وإذا خلا العقب رجع الحبس إلى الفقراء والمساكين.⁶

ويتضح من ذلك أن الأحباس شاركت في تقديم الكثير من الخدمات الاجتماعية، يشير ابن العطار إلى حبس بعض الأراضي الزراعية في بلده قرطبة، على المساكين والمرضى، ويضيف ابن السليم (ت367هـ/977م) أنه كان لا يعقد قبالة هذه الأراضي المحبسة أكثر من أربعة أعوام خوفا أن تدرس الأحباس بطول مكثها بيد مقبلها⁷... كما حبست أراضي زراعية وحبست غلاتها على المساكين كما في أرض بلش.⁸

فقد "سئل المواق عن رجل أوصى بفدان بأن يكون حبسا على المساكين بعد وفاته يؤخذ فائده كل عام ويشترى به خبزا ويفرق على الضعفاء والمساكين في شهر رمضان وأوصى أيضا بأن ما يفضل عن الفدان يلحق بالصدقة، ففضل من ثلثه على الفدان، أو يفرق على المساكين في رمضان وفي غيره حتى تنفذ، فأجاب: لا يفرق ما فضل على المساكين إلا أن يوجد ملك، وأما أن وجد بأنه يشترى ويكون ما يخص ما فضل من

1 المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة (مخطوطة)، رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1336، ص: 121.

2 الونشريسي، المصدر السابق، ج.1، ص: 396، و ج.10، ص: 245.

3 نفسه، ص: 91، 98.

4 نفسه، ص: 105. ويشير الونشريسي أن التحبيس على فقراء الوقت باطل، المصدر نفسه، ص: 118.

5 نفسه، ص: 152، ص: 191.

6 نفسه، ص: 152، ص: 191.

7 ابن العطار، الوثائق والسجلات، نشرها شالميتا و كورنيطي، مدريد، 1983، ص: 182. الونشريسي،

المصدر السابق، ج.7، ص: 437. *La gardère, Op.cit, p:257.*

8 بلش: *Velez* شرق مالقا (سانتاماريا). عنان، الآثار الباقية في اسبانيا والبرتغال، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص: 254.

الكرء يفرق في رمضان¹.

كما يلاحظ أن هناك الدور وقفت لسكنى الضعفاء بجامع قرطبة المنسوب حباستها الى زيور²، كما حبست زوايا لسكن الغرياء والفقراء وحبس رجل من قمارش دنائرا على المساكين³.

ويتضح من إحدى النوازل التي ذكرها الونشريسي (ت914هـ/1508م) أن بعض هذه الزوايا، لاسيما أواخر دولة الإسلام في الأندلس قد انحرفت عن موضعها الأصلي وتحولت إلى ساحات للعب والمعصية والخروج عن الدين⁵، كما قد حرص أهل الثراء على التحبب على الفقراء فقد سئل ابن عتاب من المرية عن رجل حبس في وصية ضيعة له حبسا صدقة على ضعفاء أهله، يبدأ بأهل الحاجة منهم على الصق القرابة فيعطي كل واحد منهم من ذلك قوته وكسوته ثم إلى الفقراء من بعدهم⁶.

ومما يلاحظ أيضا حبس ثمار على فقراء المساكين بقرطبة وعرفت الأرض المحبسة بأرض المساكين⁷.

— حبس الطواحين.

إن أصل الطواحين غير معروف على وجه التحقيق، إلا أن طاحونة الحبوب الأفقية هي الشائعة، وكانت توجد في مدينة شاطبة العديد منها⁸ وكذلك قرطبة، فيذكر الإدريسي عند وصفه لقرطبة والقرى المحيطة بها ويتمثل سورها وما وراءه من الأرحاء الطاحنة (أي الطواحين)، بالماء على ما ينيف على مائة وثلاثين رحي، ألحقها الله الآمنة، ولا قطع عنها عادة الرحمة، بفضلته وكرمه⁹.

ولهذا حرص الأندلسيون على حبس الرحي لفائدة اليتامى والمساكين وابن السبيل، مثل الطواحين الحبوس وهي ثلاثة طواحين موجودة بفحص الرحي قرب قرطبة محبوسة على ذلك¹⁰، كذلك حبس رجل من أهل الأندلس رحي له في فائدة ذلك على

1 الونشريسي، المصدر السابق، ج.7، ص ص:183-182. *La gardère, Op.cit, p:265.*

2 نفس المصدر، ص:220.

3 نفسه، ص:152.

4 عن الزوايا في الأندلس، أنظر: رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، 1964م. ص ص:29-30.

5 نفسه، ص:296.

6 الونشريسي، المصدر السابق، ج.7، ص ص:478-477. *La gardère, Op.cit, p:216.*

7 المازوني، مصدر سابق، ص:117، 122.

[^]Glick, *Islamic and Christian sapa in the early middle age, Princetone, University Press, P 232-233*

9 الونشريسي، المصدر السابق، ج.1، ص ص:133-132..

10Glick, *Op.cit, p:233.*

الفقراء واليتامى¹ حسباً مؤبداً.

3- الأعباس كوسيلة للتضامن الاجتماعي.

قال الله تعالى: **وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**².

لقد صح أن هذه الآية، نزلت في حق أسرة من الأنصار رضوان الله عليهم، فقد روى البخاري بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه، فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا رجل يضيفه الليلة يرحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله، فذهب لأهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئاً، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنومهم وتعالى فاطفتي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: عجب الله عز وجل أو ضحك من فلانة وفلان، فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة"³.

فالإيثار هو البذل والتخصيص لمن توثره على نفسك، والإيثار أغلب مراتب الكرم لأهل العزم الذين صقلتهم العقيدة والتعاليم الإسلامية، وتشرب معانيها، وتندب إلى الخير حتى يسارعوا إلى العمل بمقتضاها.

روى البخاري بإسناده عن أنس بن مالك قال: "كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلاً وكان أحب أمواله إليه بيرحاء⁴ وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت الآية { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ }⁵، قام أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، إن الله يقول: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ، وأن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنما صدقة لله، أرجو برها وذخرها من الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال رسول الله: بخ بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين قال أبو طلحة أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه"⁶ وكانت توجيهات القرآن تحث على الصدقة، وخاصة الأعباس

1 الونشريسي، المعيار المعرب، ج.7، ص:461. ابن رشد، الفتاوى، ف311، ج.2، ص:1051.

2 سورة الحشر، الآية رقم:09.

3 رواه البخاري، فتح الباري، ج.3، ح4889، ص:631.

4 بيرحاء، حديقة تسمى النورية شمال سور المدينة معروفة عند أهل المدينة. انظر: ابن فرجون، إرشاد السالك إلى معرفة المناسك، دراسة وتحقيق محمد بن الهادي أبو الأجدان، بيت الحكمة، قرطاج، 1989م. ص:628.

5 سورة آل عمران، الآية رقم:92.

6 البخاري، الصحيح، كتاب الوصايا، ج.4، ح19، ص:55. مسلم، صحيح مسلم، الزكاة، مجلد4،

باعتبارها من الصدقات الجارية، فقد كان الأندلسيون يحرصون على الصدقة، فالصدقة دليل صحة الإيمان، وصدق اليقين، والصدقة برهان¹ وأن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء² ورغم أن المعلومات الخاصة بالزكاة قليلة، إلا أن ما يتعلق بالصدقة كثير، فالإحسان أو عمل الخير، يعبر عنه كتضامن اجتماعي، خصوصا في أوقات الشدة، وتبرز المصادر التاريخية أن الأمراء والخلفاء في الأندلس، قاموا بتوزيع الماء والطعام على الناس في أوقات المجاعة، وكذا في كل نهاية مناسبة دينية مثل شهر رمضان ويروي ابن حيان (ت469هـ/1076م) إحدى هذه الوقائع عندما أشرف المستنصر وابنه على عيد الذين كانوا يطوفون بين الناس حاملين أكياسا من المال لتوزيعه.³

وفي ذلك يذكر ابن حيان صاحب المقتبس أن المستنصر بادر بإخراج مال واسع إلى صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نصر يعينه ليفرقه على الضعفاء والمساكين⁴، وأنه في سنة 352هـ/963م كانت بقرطبة مجاعة، فتكفل الحكم بضعفائها ومساكينها بما تقيم أرقامهم أخرى عليهم نفقاته بكل ربض من أرباض قرطبة وبالزهر⁵، وكانت هذه النفقات (الصدقات) مصداقا لقول رسول الله ﷺ " واجعل ثلثه في المساكين وابن السبيل"⁶.

وليس من الغريب أن نجد في سير العلماء معلومات وإشارات لمنحهم الصدقات، لاسيما من أموال الأحباس للمعوزين في حين كانوا هم أنفسهم يعانون ظروفًا عسيرة، وكان بعض هؤلاء أصحاب تفريق الصدقة، وهكذا يمكننا رؤية البعد المؤسسي للممارسة الدينية والورع المرتبط مباشرة بممارسة السلطة⁷ كما أظهرت الدولة الموحدية اهتماما بالغًا بالأعمال الاجتماعية لاسيما في خلافة المنصور الموحي، ويظهر اهتمام الفقراء من الهبات التي كانت تعطى لهم ففي كل مناسبة كانوا يقترضون الأموال على الناس كافة لاسيما الضعفاء والغرباء، حتى بلغ ما يتصدق به الرجل في هذه المناسبات ثلاثين

ح998، ص:91.

1 اكرم ضياء العمري، التربية الروحية والاجتماعية في الاسلام، ط1، دار اشبيلية، الرياض، 1997، ص:258.

2 الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الزكاة، مجلد 2، ح664، ص:146.

3 ابن حيان، المقتبس في أخبار رجال الأندلس، تحقيق عبد الرحمان حجي، دار الثقافة، بيروت، 1995، ص:92.

4 نفس المصدر، ص:77.

5 ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال وكولان، دار الثقافة، بيروت، 1983 ج.2، ص:236.

6 رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ج2954، ص:341.

7 مانويل مارين، «ممارسات المسلمين الدينية في الأندلس (2-4هـ)»، ج.1، موسوعة الحضارة العربية في الأندلس، ص:1226.

دينارا¹ كما أن من مظاهر الدولة الاهتمام بالأطفال اليتامى² ولهذا حضيت العامة برعاية الخلفاء والأمراء، فكان لهم نصيب من الصدقات والمساعدات للتخفيف عنهم من وطأة الضيق والعسر الذي كانوا يرضخون تحته في أوقات الأوبئة والغلاء وارتفاع الأسعار.

كما أن المتصوفة اهتموا بتوزيع الصدقات بين الفقراء والمعوزين في مختلف المناسبات باعتبارهم أكثر الناس معرفة بأحوال هذه الجماعات الضعيفة، وبتأمل حجم هذه المساعدات يتبين أنها غير كافية ولم تكن دائما تلبي حاجات الناس وبالتالي يلجأ بعض العوام إلى بيع بعض أملاكهم بسعر زهيد مقابل لقمة عيشه³

4- أحباس المواسم الدينية.

من الطبيعي أن يكون للتدين والعناية بشعائر الدين أمروا واضح، وسمة مميزة في بلد شغل بالحروب طويلا، واتقدت فيه روح الجهاد والمرابطة وقد كان لمجاورة المسلمين للنصارى في إسبانيا وأوربا أثر بالغ في ازدياد هذا الشعور.⁴

وكان الأندلسيون يحتفلون بالمولد النبوي بعد أن عرف الاحتفال به في المشرق، وخاصة في مصر زمن الفاطميين، ولعل ذلك يرجع إلى تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بمولده ودراسة سيرته الشريفة وإلى الشعور الديني القوي لديهم الذي أدى بهم إلى التحدي لإثبات وجودهم في هذه البلاد القصية التي تقع في أوربا المسيحية.⁵

فقد حرص الأندلسيون والمغاربية رغم ذلك إلى الاحتفال في العصور المتأخرة به في هذه العصور احتفالا كبيرا لإيقاض الشعور الديني بعد تساقط القواعد الإسلامية في الأندلس.⁶

كما يظهر أنهم كانوا يحتفلون كذلك بيوم عاشوراء بالصيام والتوسعة على

1 ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين،

تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس، بيروت، 1964م. ص: 421.

2 عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، 1991م. ط. 1، ص: 293. إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ

الاجتماعي والأدبي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، 1998م. ط. 1، ص: 188.

3 المحمودي أحمد، «المظاهر الذهنية لعامة المغرب الأقصى»، أعمال ملتقى دولي، الجزائر،

أفريل 2001م. ص: 122.

4 حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، 1994م. ط. 1، ص: 134.

5 يقول القزويني: «ومن عجائب الدنيا المملكة الإسلامية بالأندلس مع إحاطة الفرنج لها من جميع الجوانب».

6 راجع: حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص: 303، مؤنس، فجر الأندلس، العصر الحديث و دار المناهل للنشر والتوزيع، بيروت، 2002م. ص: 460. ابن حيان، مصدر سابق، ص ص: 184-185.

أنفسهم وأولادهم في هذا، فقد ذكر ابن حيان أن الفقيه عبد الملك بن حبيب (ت238هـ/852م) كتب إلى الأمير عبد الرحمان الأوسط (206-238هـ/852-821م) في يوم عاشوراء.

لا تنسى لا ينسك الرحمان عاشوراء واذكره لازالت في الأحياء مذكورا
قال الرسول صلاة الله تشمله قولاً وجنا عليه الحق والنورا
فأرغب فديك فيما رغبنا خير الورى كلهم حيا ومقبورا¹
كما كتب محمد بن شخيص قصيدة يهنئ فيها الحكم المستنصر بالعيد
الأضحى جاء فيها:

ألم بنا الأضحى فقلت أهلاً وإن كان مولانا بما قلته أول
تجلى أمين الله والعيد والضحى فكان أمين الله أفضلها مجلى
وأما ثلث منه الضحى غير وجهه فكانت له مثلاً وليست له مثلاً
ليهن بني الإسلام فخر استلامهم بنان يد العليا من الملك الأعلى²

كما جرت العادة أيضاً في عهد بني نصر تهنئة الأمراء بالعيد، فهذا هو ابن الخطيب (ت776هـ/1374م) يهنئ الغني بالله في يوم عاشوراء.

يا أيها المولى الذي بركاته رفعت لواء للندي منشورا
لك راحة تزجى الغمام بأنمل فجرت منها بالنوال بحورا
واليوم موسم قرية وعبادة وغدا أظفرت بأجره عاشوراء
راعيت فيه سنة نبوية يروي الثقة حديثها المشهورا

لازلت عامك كله في غبطة لقيت منها نظرة و سرورا³
ومن هنا نستشف أن الخلفاء كانت لهم هبات وعطيات في هذا اليوم يوزعونها على
الفقراء كما أن هناك من طبقة الخاصة في المجتمع الأندلسي يحرصون على الاهتمام
بالحبس في مثل هذه المناسبات الدينية، وهذا ما ذكره الونشريسي بأن امرأة غرناطية قد
تصدقت بموضع على ليلة المولد النبوي الشريف، يزرع ذلك الموضع، ويؤخذ قمحه ويعمل
به في تلك الليلة المذكورة فيجتمع فقراء هذا الزمان ويذكرون الله عز وجل⁷. كذلك
حبس رجل أصل توت على ليلة المولد⁸ إلا أن فقراء غرناطة في عصر بني الأحمر استغلوا
هذه المناسبات، بالغناء والشطح، ويقرررون لعوام الناس أن ذلك من أعظم القربات وأنها
طريقة أولياء الله، ويجيب الونشريسي على ذلك أي على مثل هذه التصرفات قال: لأن
الغناء والشطح من باب اللهو وهم يضيفونه إلى أولياء الله، وهم يكذبون في ذلك عليهم

7 الونشريسي، المعيار المعرب، ج.7، ص:114.

8 نفسه، ص:99.

ليتوصلوا إلى أكل الناس بالباطل، فصار التحبب عليهم ليقوموا بذلك طريقتهم تحبسا على مالا يجوز تعاطيه.¹

وشكل عيد الفطر أيضا مناسبة لتبادل الزيارات بين الأصدقاء والأقارب وتقديم التحيات والتهاني مباشرة بعد صلاة العيد، فقد ورد على الفقهاء نازلة حول عادة الناس بعد انقضاء صلاة العيدين نحو تقبيل الرأس واليد والمنكب للمعانقة.²

إلى جانب الاحتفال بالأعياد الإسلامية والمواسم الفلاحية شارك أهل المغرب والأندلس إخوانهم المسيحيين في أعياد خاصة³ كعيد يناير الذي يقام كل سنة جديدة، وتقدم فيه التهاني، وتصنع فيه أصناف كبرى من الحلوى تسمى المدائن، وهي على شكل مدن ذات أسوار أثارت إعجاب أحد الشعراء، فشبها بالعروس، وذكر المواد التي تصنع منها، كما أن ابن عبد الملك قدم بدوره وصفا دقيقا عن كيفية صناعتها إلا أنها كانت تقدم في هذا العيد للأطفال إدخالا للسرور عليهم، وتوسيعا في الترفيه لأحوالهم، وتعبيرا بخصب عامهم وتفاؤلا لبسط الرزق فيه.⁴ والمسلمون بفضل تسامحهم لم يجدوا غضاظة في استدعاء الأحاب والأصدقاء ولبس أجمل الثياب في هذا العيد المسيحي، والاحتفال والسهر فتملاً الموائد بأصناف الحلويات والفواكه المجففة مثل التين والبلوط⁵ وغيره، بل أن الخليفة المنصور بن أبي عامر مثلا كان يسمح لأهل الذمة بممارسة شعائرهم الدينية في الكنائس وفي مناطق متعددة بالأندلس.⁶

ومن مظاهر الاحتفال بهذا العيد أيضا ما عرف لدى الأندلسيين بالتماثيل (الصاب) وهي عبارة عن موائد كبيرة يصنع عليها الباعة أشكالا هائلة من الحلوى والفواكه وقد بلغ ثمنها ما يربو عن 70 ديناراً لما حوته من السكر وضروب التين والتمر والجوز والليمون والفانيد⁷ وكانت هاته الاحتفالات وغيرها، تتم جنباً إلى جنب سنين طويلة، وقد حفظ لها الونشريسسي (ت914هـ/1508م) وثيقة تثبت احتفال اليهود بأعيادهم في مواسم معينة

1 نفسه، ص: 101.

2 بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1993، ص: 89.

*من أهمها صباغة الحرير لجميع القرمز و يقيمون خيامهم في بطون الأودية والحقول للاحتفال بالعصير في فصل الخريف، كما يخرج بعضهم للنزهة والفرحة.

3 نفسه، ص: 92. أحمد عبد الرزاق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر، بيروت،

1999. ط.3، ص236. أما الأعياد فمن بينها عيد المظلة يدوم 7 أيام وعيد الأسابيع يحتفل به

بعد عيد الفطر، وعيد الحنكة يدوم 8 أيام عن الأعياد، راجع في ذلك: المقرئزي، مصدر سبق

ذكره، ص: 493. مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 2000م. ص

ص: 136-138.

4 بوتشيش، المغرب والأندلس، ص: 93.

5 نفسه، نفس الصفحة.

6 Danrafael Altamira, *histoire d'Espagne*, librairie Armand colin Paris, 1931, p: 97

7 الفانيد: أنواع من الحلوى يتناولها الأطفال وحتى الكبار.

والوثيقة عبارة عن فتوى قدمت للقاضي أبي عبد الله بن الأزرق (836هـ/1491) مفادها أن اليهود يصنعون رغائف في عيدهم يدعى عيد الفطر² ويهدونها لبعض جيرانهم المسلمين، فهل يجوز قبولها منهم أم لا؟ وأجاب ابن الأزرق بالرفض والإنكار، وكانت هذه الرغائف مصنوعة من الفانيد - سبقت الإشارة إليه - وكانت تباع بثمن باهض لما تحويه من مواد كالسكر والتين واللوز، ...

وقد أشار الطرطوشي (ت520هـ/1126م) أن الأندلسيين في مدة هذه الاحتفالات يبتاعون الفواكه والحلوى من المجنات والإسفنج كالعجم واعتبرها من البدع.³

أما التقاليد الجنائزية إذ كان البعض يعين المكان الذي يرغب أن يدفن فيه، وكانت تحيط به النساء بالميت يندبنه ويبكينه ويصحن بأهازيج خاصة، لذلك طالب السقطي (6هـ/12م) بمنعهن من ذلك.⁴ وعندما تخرج الجنازة يكثر الإنشاد والدعاء ورفع الأصوات وقد اعتبر الطرطوشي هذا بدعة⁵ كما اعتبر ابن الحاج (ت737هـ/1336م) زيارة القبور مفسدة ألقاها الشيطان في هذه القبور، "فلعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج".⁶

كما حرص الأندلسيون على حبس أراضيهم على المقابر، وورد في النازلة التي رفعت إلى الحفار عن حبس قطعة أرض مدة خمسين عاماً⁷، كما حبس رجل من كورة غليرة (أعمال قرطبة) أرضاً لدفن موتى المسلمين⁸، كذلك حبس رجل أرضاً له لدفن موتى المسلمين من أهل غرناطة⁹ كما حبست أراضي على من يقرأ القرآن على قبور أصحابها منذ زمان ينتفع القارئ بفائدة ذلك الحبس¹⁰، وقد أجاز فقهاء الحقبة المرابطية أن القراءة

١ محمد بن الأزرق ولد بمالقة يعتبر من علماء الاجتماع السياسي، فهو الذي أوصل المدرسة الأشعرية إلى مرحلة النضج ويظهر أن ابن الأزرق أنه أحد الخبراء بالسياسة العارفين بأحوالها، وقد عايش الحرب الأهلية التي عرفتها دولة بني نصر في غرناطة، وقد كان يستنهض همم حكام المسلمين من أجل الوقوف أمام سقوط جوهرة الأندلس غرناطة، يعتبر من الشخصيات المغمورة عند الباحثين أهم آثاره: الإبريز المسبوك في كيفية أدب وسير الملوك، مخطوطة بالحامة رقم: 1375، (ت856هـ/1491م). راجع ترجمته: محمد الأمين بلغيث، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م. ص: 68-69. كما كتبت عنه الباحثة A.Rochel دراسة ممتازة.

2 الونشريسي، المعيار المعرب، ج.11، ص: 111.

3 أبو بكر الطرطوشي، الحوادث والبدع، ترجمة: محمد طالي، تونس، 1959. ص: 141.

4 السقطي، في آداب الحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال و كولان، باريس، 1931، ص: 68.

5 الطرطوشي، المصدر السابق، ص: 142.

6 ابن الحاج، المدخل، مجلد 1، ج.4، دار الفكر، بيروت، (د.ت). ص: 251.

7 الونشريسي، مصدر سابق، ج.7، ص: 150.

8 ابن رشد، مصدر سابق، ف499، ج.2، ص: 1390.

9 الونشريسي، المصدر السابق، ج.7، ص: 139-149. البرزلي، مصدر سابق، ص: 402.

١٠ La gardère, Op.cit, p:290.

على القبور جائزة لكن ابن عبدون اشترط أن يكون القارئ على الموتى شابا ولا عزبا.¹
5- الأحباس ومياه الشرب.

الحقيقة إن مبدأ هذه المؤسسة الاجتماعية ينبثق عن روح الإسلام الذي هو دين اجتماعي كما يندرج في عداد السنة النبوية الشريفة، والوقف بما يتميز به من استمرار ودوام ضرب من ضرب الأمن الاجتماعي واستمراره ومراعاة المصلحة الجماعية.²

فعلى هذا الأساس فللوقف دور في مجال السقاية وامتداده لسيرة الخلفاء الراشدين الذين عكفوا على حبس موارد المياه في السبيل من خلال ما تصدق به الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- لبئر رومة³ كلها على المسلمين.

لذا اهتم الأندلسيون بحبس صهاريج للشرب، بشرط أن لا يتطهر بماء الصهريج فإن وقفت للشرب لم يتوضأ بمائها، وإن وقفت للانتفاع جاز الوضوء وغيره، وإن شك في ذلك جاز استعمال العذر المتيقن، وينبغي أن يتجنب الوضوء منه للشك.⁴ كما وجدت ببلاد الأندلس الحوانيت المحبسة على خابية⁵ في السوق فذكر الونشريسي (ت914هـ/1508م): "أنه سئل أن رجلا حبس حانوتا على خابية في السوق للشرب، فقال: يسكن الحانوت، وينتقل الماء للخابية من غيره أن يعين كراء للحانوت ومن غير أن يعين ثم ينتقل من الماء للخابية، فأجاب: أن الرجل إن كان يسكن الحانوت على أن يكفي مؤنة الخابية، ويقوم بجميع عملها فذلك جائز"⁶ هكذا أفتى فقهاء الأندلس.

كذلك بنيت مواجل للمياه⁷ للسبيل، وحبسه عليها مساقى الأرض⁸ وقد أشار (Vincent la gardère) عن مواجل المياه على الحصون والقصور⁹ فقد قام الناصر سنة 329هـ/950م) بإجراء الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر الناعورة. كما أمر الخليفة

1 ابن عبدون، مصدر سابق، ص: 27.

2 محمد إسلام، "نظرية الوقف"، (المعرفة)، العدد 01، الجزائر، 1963م. ص: 15.

3 بئر رومة: بئر قديمة في الجاهلية، تصدق بها عثمان بن عفان كلها على المسلمين. ابن فرحون، إرشاد السالك إلى معرفة المناسك، ص: 629.

4 الونشريسي، المصدر السابق، ج. 7، ص: 99.

5 الخابية: وعاء فخاري كبير لحفظ الماء، وكان يوضع داخل الدار أو الأسواق، وكل أماكن التجمع ليشرّب الناس منه الونشريسي، المصدر السابق، ج. 7، ص: 205.

6 نفس المصدر، ج. 7، ص: 184-185.

7 المواجل: خزان مياه مكشوف أو بركة مستديرة، يجتمع فيه ماء المطر ويخزن لاستغلاله. ابن الرامي، الأعلان بأحكام البنين، قراءة وشرح عبد الستار عثمان، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1988، ص: 212.

8 الونشريسي، المصدر السابق، ج. 7، ص: 235. البرزلي، مصدر سابق، ص: 407.

⁹La gardère, Op.cit, pp:213-290.

الموحدي المنصور بأن تجدد السقاية من مال بيت المسلمين لقضاء حوائج الناس.¹

6- الأحباس والرعاية الصحية.

لعبت الأوقاف دورا هاما في مجال الرعاية الصحية، وقد اشتهرت المشافي في بلاد الأندلس "وخارج المدينة تقوم المشافي للمرضى الذين يستعصي علاجهم، أو يبطل، أو مصابين بأمراض معدية في حي قائم بنفسه يطلق عليه اسم (ريض المرضى)، وتقوم عليه جماعات متطوعة إشرافا واتفاقا مما تتلقاه من أهل الخير أو مما يوقف عليها من مال أو أرض أو عقار.²

والواقع أن رواتب الأطباء والمرضى كانت تدفع من الربح المخصص لها، وكان القيمون يسجلون عليها في سجلات خاصة تقيد فيها المصروفات جميعا في ترتيب رائع، فهي تنبئنا عن قيمة رواتب الأطباء وأثمان العقاقير والآلات³ أما الإشراف على الطلبة، فكانت البيمارستانات بمثابة مدارس عالية للطب يتعلمون كل ما قرأوه عن أبي قراط بطليموس⁵، كذلك حبست بعض الأحباس على مرضى الجذام وحرص الواقفون على دفع الصدقات على هؤلاء المرضى حتى يتمكنوا من مساعدتهم⁶، وقد أورد الونشريسي (914هـ/1508م) أن رجلا من أهل غرناطة حبس غلة جنان على الجذمي⁷، وقال في نص المحبس وذلك لم يلحق أبدا من عقب المحبس أو عقب عقبه.⁸

وبتأمل أثمان العلاقات الطبية والصيدلانية وارتباط خدمات الأطباء وخبرتهم بمصالح عليّة القوم، لأنفسهم بسبب تخلي العامة عن زيارة الأطباء⁹ والاستشفاء بالأدوية

1 القاسم جاسم بن محمد، تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2000، ص: 79.

2 الطاهر أحمد مكي، دراسات عن ابن حزم، دار المعارف، القاهرة، 1993م. 64، ص: 32. أحمد مختار

العبادي، في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة، مصر، (د.ت). ص: 128.

3 زيغرنند هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1969م. ط2، ص: 233.

4 البيمارستانات: لفظة فارسية (بیمار: مريض، ستان: مكان)، أول من أقامه الوليد بن عبد الملك بدمشق وأعطى للمجدومين، وهو أول من أجرى على العميان والمجدومين الأرزاق، كذلك بيمارستان المنصور قلاوون وبيمارستان صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة. انظر: محمد ابن عبدالعزيز، الوقف في الفكر الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1996، ج.1، ص: 366.

5 هونكه، المرجع السابق، ص: 234.

6 الونشريسي، المعيار المعرب، ج.9، ص: 173.

7 يلاحظ أن لبعض نواحي إفريقيا يسمى موضع الأحباس خاصة بمرض الجذام حتى لا يظنوا الناس المصدر نفسه، ص: 38-39.

8 المصدر نفسه، ج.7، ص: 186. المازوني، مصدر سابق، ص: 114.

9 عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص: 293.

الصيدلانية، وإن كنا لا نعدم وجود إشارات تؤكد توسيع الخدمات الصحية لتشمل عموم الناس لاسيما في فترة ازدهار الدولة، ولا أدل على ذلك من تخصيص جزء من عائدات بيت المال للمارستان الذي شيده الخليفة يعقوب المنصور مارستان دار الفرج وأجزى له العطايا ثلاثون دينارا كل يوم برسم الطعام خارجا عما تكفله من أدوية وصيادلة وأطباء، وذلك لجعل الخدمات الطبية في متناول العامة، وتمكين المرضى والمساكين من التطبيب بالمجان ومساعدتهم للاندماج والعيش وسط المجتمع.¹ والظاهر أن الأوبئة والأمراض والجوائح والكوارث قد انتشرت بشكل جلي في العصر المرابطي غير " أننا لا نعلم النصوص المخطوطة والمنشورة التي تفرد أبوابا كاملة للأكرية والمساقاة والجائحة والشركات، والرحى وقوانين المياه في الأندلس في عصر المرابطين."²

كما أن: " نجاح أي مشروع دعوي أو سياسي لا يتأتى إلا بتحقيق العدالة الاجتماعية والتنفيس عن الفئات المكروبة نتيجة الكوارث التي تصيب هذه الطبقات الدنيا من المجتمع، وإذا تمعنا الأمر نجد أن العصر المرابطي قد عرف الأزمات والمجاعات والأوبئة والكوارث والمحن وغلاء المواد الغذائية؛ وانتشار الجراد والأوبئة؛ وهو ما حدثنا عنه كتب الفتاوى والنوازل المعاصرة للمرابطين كنوازل ابن رشد الجد (ت520هـ/1126م)، وابن الحاج الشهيد (ت529هـ/1135م)، ونوازل ابن سهل وأحكام الشعبي المالقي، وهي النوازل التي أرخت بصورة تلقائية من خلال معالجتها لظروف الناس ومشكلات عصرهم في جميع مظاهر حياتهم وأخلاقهم كما لم تعدم هذه النصوص الخطية معالجة قضايا الفلاحة ووضعية المزارعين، كما لم تهمل كذلك ظروفهم الاجتماعية من غذاء ولباس وأمراض وطواعين تصيب أهل الريف خاصة، كما لم تهمل ظاهرة العدوى قبل أن تكشف الجراثيم وهو ما أشار إليه ابن الخطيب إشارات دالة على وضع صحي متقدم"³. وتجدر الإشارة أن الأراضي الزراعية تعرضت للكثير من الكوارث والمسغبات وتأثرت الرعية في العدوتين المغربية والأندلسية لكثير منها في عصر المرابطي والظاهر أن الأمراض والأوبئة انتشرت بشكل واسع في العصر الموحد في العدوتين حيث وجدت أرض خصبة تمثلت في المجاعات والحصارات علاوة على الفتن والحروب والتي أضعفت مقاومة الأشخاص لهاته الأمراض.

ولعل من بين الأمراض والأوبئة الشائعة تطالعنا كتب النوازل والمصادر التاريخية مرض العيون ومرض الجذام الذي يعد مرضا معديا، حيث ربط المنصور الموحد جازيا للجذماء والعميان.⁴

وبالتالي حذى بالموحدين بعزل المصابين في حارات خاصة أو في بعض الكهوف

1 المحمودي أحمد، مرجع سابق، ص: 120.

2 بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، إشراف عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2003، ص: 540.

3 نفس المرجع، ص: 541.

4 ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص: 143.

والمغاور وعموما فمرض الجذام كان يهيم المجتمع بأسره، فقد خلق عدة مشاكل¹، وكان يديهيا أن لا تقوى الشرائح الاجتماعية المتدينة على مواجهة الظروف الصعبة ومقاومة الأمراض والأوبئة فكانوا يعانون من قلة المؤن وانتقاص الغذاء، ويبدو أن العامة قد حضيت برعاية الأمراء والخلفاء الأندلسيون،² فقد كان أبو يعقوب المنصور بالله بن يوسف فكان من أجل ملوك الموحدين، ذارأي وحزم بين محب للعلماء مشاركا في العلوم وبنى المساجد وأجرى عليه الأرزاق، كما بنى البيمارستان للمرضى وأجرى له أيضا الأرزاق³، ومما يؤكد اهتمام القادة الأندلسيون لاسيما عصر بني الأحمر بالمرضى ما جاء على لسان الوزير ابن الخطيب (ت776هـ/1384م)، حيث قال الوزير في كلامه عن أمير المسلمين محمد بن إسماعيل بن حزم⁴، الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه 755هـ/1354م: ”ومن مواقف الصدقة والإحسان من خارق جهاد النفس بناء البيمارستان الأعظم حسنة هذه التخوم القصوى ومزية المدنية الفضلى، لم يهتد إليه غيره من الفتح الأول مع تقرير الضرورة وظهور الحاجة، فأغرى به همة الدين ونفس التقوى“⁵.

ونقل ليفي بروفنسال⁶ نص ذكرى بناء السلطان محمد الخامس (الغني بالله) للبيمارستان سنة 767-768هـ/1366-1365م، وهو لوح من الرخام على شكل الباب مقنطر مركب من قطعتين التصاقا محفوظا، وعلى أحد أوجه هذا اللوح كتابة في غاية الحفظ تملأ هذا الوجه خاصا بمرضى غرناطة جاء فيه: ”الحمد لله أمر ببناء هذا المارستان رحمة واسعة لضعفاء مرضى المسلمين وقربة نافعة إن شاء الله رب العالمين، وولد سنة حسنة ناطقة باللسان المبين، وأجرى صدقة على مر الأعوام وتوالي السنين الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين المولى الإمام السلطان الهمام الكبير الشهر الطاهر الظاهر أسعد قومه دولة وأمضاهم في سبيل الله صاحب الفتوح و الصنع الممنوح والصدر المشروح، المؤيد بالملائكة و الروح، ناصر السنة كهف الملة أمير المسلمين الغني بالله أبو عبد الله محمد

1 في هذا الصدد يقول البرزلي: ”يمنع المجذومين من مخالطة الناس، والإستقساء والورود إلى الماء للوضوء، ويؤمرون بأن يجعل من يستسقي لهم في أنية. البرزلي، مصدر سابق، ج.4، ص:178. الوشرسي، المصدر السابق، ج.11، ص:302.

2 المحمودي أحمد، مرجع سابق، ص:121.

3 ابن أبي الدينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م. ط.2، ص:119.

4 هو محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج، أمير المسلمين بعد أبيه وأبيه كان جزلا في العظية، بعيدا عن القسوة والغلظة مائل إلى الخير بفضل السجية. انظر: لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م. ط.3، ص:113.

5 أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار التراث العربي، بيروت، 1981م. ط.2، ص:228.

6 Provençal, inscriptions arabes d'Espagne, Paris, 1931, p:164.

6 أحمد عيسى بك، المرجع السابق، ص ص:290-289.

بن المولى الكبير الشهير بالسلطان الجليل الرفيع أبي الحجاج بن المولى السلطان الجليل المعظم هازم المشركين وقامع الكفرة المعتدين الشهيد الوليد بن نصر الأنصاري أنجح الله في مرضاته أعماله وبلغته من فضله العميم وثوابه الجسيم أماله، واخترع به حسنة لم يسبق إليها من لدن الإسلام هذه البلاد، واختص بها طراز فخر على عاتق حلة الجهاد، وقد أراد وجه الله باستفاء الأجر، والله ذو الفضل العظيم، وقدم نزرا يسعى بين يديه ومن خلفه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فكانت ابتداء بنائه في العشر الوسط من شهر المحرم 767هـ/1365م، وثم ما قصد إليه ووقف الأوقاف عليه في العشر أوسط من شوال 768هـ/1366م والله لا يضيع أجر المحسنين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وأصحابه أجمعين“.

ومن خلال تطرقنا إلى الدور الاقتصادي والاجتماعي للأحباس في الأندلس يتبين أن الوقف يقصد به عادة الأراضي التي يخصصها المسلمون لأغراض دينية فيكون واردها للفقراء واليتامى والمحتاجين وابن السبيل، أو لبناء المساجد والحصون وغير ذلك من المنافع، وقد أصبحت الأرض الزراعية محل الصراع العسكري لاسيما خلال العصر المرابطي الذي ارتهنت فيه الأحوال بالقدرة على إعداد الجيوش وكما أن اقتصادها أصبح يعتمد على المصادرات ومصادر دخل أخرى، كما أن نمط الملكية قد استحوز عليه أمراء البيت الممتوني ووجهائه وقد آلت الملكية بعد ذلك إلى الموحيدين وزادت مصادراتهم.

وقد أصبحت الأحباس من مصادر بيت المال في الأندلس بل أن الأمويون أنفسهم وضعوا أساسا لبيت المال من الأحباس، وقد استمر هذا النظام إلى غاية المرابطين وشكلت المصادرات مصدرا هاما من مصادر الدخل منها أحباس أهل الذمة، وأصبحت الأحباس من دعائم الثقة المالية والاستثمار فأصبحت بذلك عاملا اقتصاديا له أثره في حركة الأسواق، فاعتبرت الوثيقة الوقفية في الأندلس من النظم الأساسية في المعاملات العقارية فاهتم الأندلسيون بتوثيق الوقف وأصبحت أسر أندلسية تشتهر بالتوثيق كبنو الجد في إشبيلية، وعلى الرغم من تعدد محتوى الوثيقة الوقفية الأندلسية أنها ساهمت في إعطاء وضع قانوني للأحداث وأمدتنا بمعطيات غنية حول الاستثمارات الزراعية وكيفية تأجير الأراضي المحبسة وحددت لنا مصادر السقي الأندلسية.

أما عن الدور الاجتماعي للأحباس فقد لعبت دورا في توفير الرعاية الاجتماعية للفقراء ووسيلة للتضامن الاجتماعي، وقد تنوعت فمنها أحباس الأسرة التي ميزت بلاد الأندلس، كذلك أحباس المواسم الدينية كحبس على المولد النبوي والمواسم الفلاحية ومشاركة المسلمين أعياد أهل الذمة، كم اهتم الأندلسيون بحبس صهاريج المياه بشرط أن التطهر بمائه فإن وقف للشرب لم يتوظأ بمائه، وإن وقف الانتفاع جاز.

كما لعبت الأحباس دورا هاما في الرعاية الصحية حيث اشتهرت المشافي المحبسة وأن رواتب الأطباء والمرضين كانت تدفع من مال الأحباس، وممن اشتهر من ملوك الأندلس الغني بالله الذي بنى البيمارستان سنة 767هـ/1366-1365، وقد أوقف عليه الأوقاف الجزيلة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق والنوازل.

أ. المخطوطة:

1. المازوني (يحيى بن أبي عمر بن موسى بن عيسى المازوني ت883هـ/1478م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية الحامة، مخطوط رقم1336.

ب. المطبوعة:

1. البرزلي (أبو القاسم بن أحمد بن محمد المعتل البلوي ت883هـ/1478م)، الفتاوى المعروفة بجامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، ج.7، تقديم: محمد الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.
 2. ابن الرامي (محمد بن إبراهيم اللخمي ت734هـ/1332م)، الإعلان بأحكام البنيان، قراءة وشرح عبدالستار عثمان، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1988م.
 3. ابن رشد الجد (أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الفقيه ت1111هـ/1111م)، الفتاوى، تقديم وتحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م. ط.1.
 4. ابن العطار (محمد بن أحمد بن عبدالله القرطبي ت399هـ/1005م)، الوثائق والسجلات، نشرها: شالميتا وكورنيطي، مدريد: 1983م.
 5. الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى ت914هـ/1508م)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
- ثانياً: المصادر العربية وكتب الحسبة.

أ. المصادر العربية:

1. ابن أبي الدينار (أبو عبدالله محمد بن أبي دينار القيرواني)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقق: محمد تمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م. ط.2.
2. الباجي (أبو مروان عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم ت594هـ/1197م)، المعروف بابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقق: عبد الهادي التازي دار الأندلس، بيروت، 1964م.
3. البخاري (أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي ت256هـ/856م)، صحيح البخاري، مجلد4، المكتبة الثقافية، بيروت، (د.ت).
4. ابن بطوطة (أبو عبدالله بن إبراهيم اللواتي الطنجي ت779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة، المعروفة بتحفة الانظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر،

- بيروت، 1964م.
5. الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت279هـ/881م)، سنن الترمذي، مجلد2 و4، دار الفكر، لبنان، 1994م.
 6. ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حيان ت469هـ/1076م)، المقتبس في أخبار رجال الأندلستحقق: عبدالرحمان حجي، دار الثقافة، بيروت، 1995م.
 7. ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م. ط.3.
 8. الطرطوشي، الحوادث والبدع، ترجمة: محمد طالبي، تونس، 1959م.
 9. ابن فرحون، إرشاد السالك إلى معرفة المناسك، دراسة وتحقيق محمد بن الهادي أبو الأجنان، بيت الحكمة، قرطاج، 1989م.
 10. المراكشي (أبو عبد الله محمد بن عذارى المراكشي كان حيا سنة712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج.3، تحقيق ليفي بروفنسال، ج، س كولان، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
 11. مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مجلد4 و6 و9، حققه وفهرسه حازم محمد، عماد عامر، عصام الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، 1994م.
 12. المقري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ت1041هـ/1631م)، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج.2، اللجنة المشتركة للتراث الإسلامي، المغرب والإمارات، (د.ت).
 13. المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي ت845هـ/1451م)، المواعظ والاعتبار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

بـ كتب الحسبة:

01. ابن عبدون الإشبيلي (ق 5هـ/11م)، رسالة في القضاء والحسبة، نشرها ليفي بروفنسال، منشورات المعهد الثقافي الفرنسي، دت.
01. أحمد، عبدالرزاق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر، بيروت، 1999م. ط.3.
02. بلغيث، محمد الأمين، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
03. بوتشيش، إبراهيم القادري، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الأولياء، دار الطليعة، بيروت، 1993م. ط.2.
04. بوتشيش، إبراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي والأدبي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين دار الطليعة، بيروت، 1998م. ط.1.
05. أبو خليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية، دار الفكر، سوريا، 2002م. ط.1.
06. دويدار، حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، 1994م. ط.1.
07. ابن عبد العزيز، محمد، الوقف في الفكر الإسلامي، ج.1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1996م.
08. العمري، أكرم ضياء، التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، دار اشبيلية،

- الرياض، 1997م. ط.1.
- 09- كواتي، مسعود، اليهود في المغرب الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 2000م.
- 10- ابن محمد، القاسم جاسم، تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2000م.
- 11- أبو مصطفى، كمال السيد، بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1993م.
- 12- موسى، عز الدين عمر، الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيمااتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1991م. ط.1.
- 13- مؤنس، حسين، فجر الأندلس، العصر الحديث ودار المناهل للنشر والتوزيع، بيروت، 2002م.
- رابعا: المراجع العربية.

01- هونكه، زيغرنند، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون وكمال دسوقي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1969م. ط.2.

خامسا: المقالات العربية.

01- إسلام، محمد، ”نظرية الوقف“، (المعرفة)، العدد 01، الجزائر، 1963م.

02 -المحمودي، أحمد، ”المظاهر الذهنية لعامة المغرب الأقصى“، (أعمال ملتقى دولي)، قسنطينة/الجزائر (23-24 أفريل 2000م).

سادسا: المقالات العربية.

01- مارين، مانويل، ”ممارسات المسلمين الدينية في الأندلس (4-2هـ)“، ج.2، تر: يعقوب دواني، موسوعة الحضارة العربية في الأندلس، إشراف سلمى الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م.

سابعا: الرسائل والأطروحات.

01- بلغيث، محمد الأمين، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، (جزءان)، (أطروحة دكتوراه دولة غير منشورة)، إشراف الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003/2004م.

ثامنا: الكتب الأجنبية والمقالات.

- الكتب الأجنبية:

01- Glick.F,(Thomas), islamic and christian Spain in the early middle ages: comparative perspective on social and cultural formation, princeton, nj: Princeton, university press,1979.

02- Lagardère (Vincent),Histoire et société en occident Musulman

au Moyen âge , (Analyse du Mi'yar d'al- Winsharisi, collection de la casa de Velazquez), N°53, Madrid, 1995.